بسم الله الرحمن الرحيم

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} ٢/٦/١٤٤١

عباد الله: كمْ للإيمان الصحيح مِنْ فوائدَ وثمارٍ عاجلةٍ وآجلةٍ، في القلبِ والبدنِ والراحةِ، والحياةِ الطيبةِ، والدنيا والآخرةِ. وكمْ لهذه الشجرةِ الإيمانيةِ مِنَ الثمارِ اليانعةِ، والجنيِ اللذيذِ، والأُكلِ الدائمِ، والخيرِ المستمرِّ، أمورٌ لا تُحصى، وفوائدُ لَا تُستقصى. ومُجملُها أنَّ خيراتِ الدنيا والآخرةِ، ودفعَ الشرورِ كلِّها مِن ثمراتِ هذه الشجرةِ؛ وذلك أنَّ هذه الشجرةَ إذا ثبتتْ وقَويتْ أُصولُها، وتفرعتْ فروعُها، وزهتْ أغصانُها، وأَينعتْ أفنانُها، عادت على صاحبِها وعلى غيرِه بكلِّ خيرٍ عاجلٍ وآجلٍ، وهاك شيئًا مِن ثمارِها.

الأولى: يَغْرِسُ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَوَدَّةً، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} . قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَغْرِسُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي تُرْضِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، - لِمُتَابَعَتِهَا الشَّرِيعَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ -يَغْرِسُ لَهُمْ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَوَدَّةً، وَهَذَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيدَ عَنْهُ. وَقَدْ وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ. اهـ

أخرج الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».

الثانية: الإيمان والعمل الصالح يثمر الحياة الطيبة في هذه الدار، وفي دار القرار، قال الله عز وجل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

الثالثة: الهدايةُ إلى الصراط المستقيم، وهي عِلمُ الحق، والعملُ به، معَ تلقي المحابِّ والمسارِّ بالشكر، وتلقي المكارهِ والمصائبِ بالرضا والصبرِ. قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ}، وقال سبحانه: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}. قال بعض السلف: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها مِن عند الله، فيرضى ويُسلِّم». ولو لم يكن من ثمرات الإيمان إلا أنه يُسلي صاحبَه عنِ المصائبِ والمكارهِ – التي كلُّ أَحَدٍ عُرْضَةً لها في كل وقتٍ، ومصاحبةُ الإيمانِ واليقينِ أعظمُ مُسَلٍّ عنها، ومهونٍ لها؛ وذلك لقوةِ إيمانه، وقوةِ توكله؛ ولقوةِ رجائه بثواب ربِّه، وطمعِه في فضلِه –، لكان ذلك كافيًا. فحلاوةُ الأجرِ تُخفف مرارةَ الصبرِ، قال تعالى: {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ ما لا يَرْجُونَ}. فلولا أنَّه كان ليعقوب عليه السلام مِنَ الإيمان ما يُهوِّن عليه مصيبتَه في فَقْدِ يوسفَ مع شدةِ حبِّه له، بحيث قال لإخوته – لما طلبوا منه أن يذهب معهم ليرتع ويلعب: {إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ}. فلا يصبر على فراقِه ولا ساعةً مِنْ نهارٍ. فمَن هذه حالُه، حُبٌّ لا يمكن المُعبِّر أنْ يُعبِّر عنه، هل يَخْطُر بالبالِ بقاءه هذه المدةَ الطويلةَ مع فَقْدِهِ؟ إنَّ الذي يَغلبُ على الظنِّ أنَّ الحُبَّ يفتتُ كَبِدَه بأسرعِ وقتٍ. ولكنَّ قوةَ الإيمانِ، وقوةَ الرجاءِ بالله أوجبَ له أنْ يتماسك كلَّ هذه المدةِ، حتى جاء اللهُ بالفرج الذي وُعِدَ به المؤمنون. وكذلك أمُّ موسى حين ذهبتْ لتُلقيَ بابنِها في اليمِّ،

وأصبحَ فؤادُها فارغًا مِنْ كلِّ شيء إلا مِنَ الحزنِ على موسى، لولا أنَّ الله رَبَطَ على قلبِها بالإيمان، وعَلِمَتْ أنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ، لكادتْ تُبدي بما في قلبِها، وتُصرِّحُ بمصيبتِها، ولكنَّه الإيمانُ المثبتُ عند الشدائدِ، المُسلِّي عند المصائبِ، المقويِّ إذا وهنتِ القُوى، المُعزي إذا عزَّ العزا.

الرابعة: جَعْلُهُمْ أَئمةً يهدُون بأمرِ اللهِ، قال الله جل وعلا: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، فبالصبر واليقين-اللَّذَيْنِ هما رأسُ الإيمان- نالوا الإمامةَ في الدِّين.

الخامسة: حصولُ الفلاحِ - الذي هو إدراكُ غايةِ الغاياتِ، فإنه إدراكُ كلِّ مطلوبٍ، والسلامةُ مِنْ كل مرهوب -، **وحُصولُ الهُدى** الذي هو أشرفُ الوسائلِ، قال الله تبارك وتعالى: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. فهذا هو الهُدى التامُّ، والفلاحُ الكاملُ، - اللَّذين لا صلاحَ ولا سعادةَ إلا بهما -، فالهُدى أَجَلُّ الوسائلِ، والفلاحُ أكملُ الغاياتِ.

السادسة: الانتفاعُ بالمواعظِ والتذكيرِ والآياتِ، قال الله جل وعلا: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}. فهذا الإيمانُ يَحْمِلُ صاحبَه على التزامِ الحقِّ واتباعِه عِلمًا وعملًا.

السابعة: الإيمانُ يَحملُ صاحبَه على الشكرِ في حالِ السراءِ، والصبرِ في حالِ الضراءِ، وكسبِ الخيرِ في كلِّ أوقاتِه، أخرج مسلم عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». **فيجتمعُ للمؤمنِ عند النعمِ والسراءِ نعمتان:** نعمةُ حصولِ المحبوب، ونعمةُ التوفيقِ للشكر الذي هو أعلى من ذلك، وبذلك تتمُّ عليه النعمةُ. **ويجتمع له عند الضراءِ ثلاثُ**

نِعَمٍ: نعمةُ تكفيرِ السيئات، ونعمةُ حصولِ مرتبةِ الصبر التي هي أعلى مِن ذلك، ونعمةُ سهولةِ الضراءِ عليه؛ لأنه متى عرفَ حصولَ الأجرِ والثوابِ، والتمرنِ على الصبر هانتْ عليه وطأةُ المصيبةِ، وخفَّ عليه حَمْلُهَا.

أيها المسلمون: لقد جعل الله سبحانه لكل مرغوب ومطلوب سببًا وطريقًا يُوصِلُ إليه، وإنَّ أهمَّ وأعظمَ المطالبِ وأعمَّها نفعًا هو الإيمان، وقد جعل الله له أسبابًا تزيده وتنميه، ومنها:

الأول: تعلمُ أسماءِ الله الحسنى وصفاتِه العلى، والعملُ به، قال الله عز وجل: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} . قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»: إنَّ الإيمانَ بأسماء الله الحسنى، ومعرفتَها يتضمن أنواعَ التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواعُ هي رُوحُ الإيمان ورَوحُه، وأصلُه وغايتُه، فكلما زاد العبدُ معرفةً بأسماء الله وصفاتِه ازدادَ إيمانُه وقويَ يقينُه.

الثاني: قراءةُ القرآنِ وتدبرُه، قال الله تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} . قال العلامة ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ في «المدارج»: فقراءةُ آيَةٍ بتفكرٍ وتفهمٍ خيرٌ مِنْ قِرَاءَةِ ختمةٍ بِغَيْر تدبرٍ وتفهمٍ، وأنفعُ للقلب، وأدعى إلى حُصُولِ الإيمانِ، وذوقِ حلاوةِ الْقُرْآنِ، وَهَذِه كَانَت عَادَةَ السلفِ.

الثالث: الإكثار من ذكر الله تعالى، أخرج ابنُ أبي شيبة رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الإيمان»: عَنْ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقِيلَ: فَمَا زِيَادَتُهُ، وَمَا نُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا رَبَّنَا وَخَشَيْنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَنَسِينَا وَضَيَّعْنَا فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ».

الرابعُ: سؤالُ الله تعالى زيادةَ الإيمانِ وتجديدَه، أخرج الطبراني في «الكبير»، والحاكمُ في «مستدركه»، وحسَّنه العلامةُ الألباني في «الصحيحة»، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ». وأخرج أبو بكر الخلالُ في «السنة»، وحسَّنه الحافظُ في «الفتح» عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا، وَيَقِينًا، وَفِقْهًا».

عباد الله: إنَّ الإيمانَ عندَ أهل السنة والجماعة: قولٌ وعملٌ، ويعنون بالقول قولَ القلب وهو المعرفة، وقولَ اللسان وهو الشهادتان، ويعنون بالعمل عمل القلب، كالخوف والرجاء والرغبة والرهبة ونحوها، وعملَ الجوارح كالصلاة والجهاد والصدقة ونحوها. وقد خالف في ذلك طوائفُ من الناس، وهم:

* **الأولى: الجهميةُ،** أتباعُ الجهم بن صفوان، وهؤلاء قالوا: الإيمان يكون بالقلب وحده، وهو المعرفةُ، ولازمُ قولهم القولُ بإيمان إبليس وفرعون، والعياذ بالله.

* **والثانية: الكراميةُ** - نسبةً إلى محمد بن كرام السجستاني -، وهؤلاء قالوا: الإيمانُ يكون باللسان فقط، ولو لم ينعقد عليه القلب، ولازم قولِهم القولُ بإيمانِ المنافقين.

* **والثالثة: الخوارج والمعتزلة،** وهؤلاء وافقوا أهلَ السُّنة في كونِ الإيمانِ قولٌ وعملٌ، لكنهم خالفوهم في القولِ بخلودِ مرتكبِ الكبيرةِ في النار. والخوارجُ يُنسبون إلى فِعلهم الباطلِ، وهو الخروجُ على أئمةِ الجورِ، والمعتزلةُ يُنسبون إلى اعتزالِهم مجلسَ الحسنِ البصريِّ رَحِمَهُ اللهُ، لمَّا قال

عن مرتكبِ الكبيرةِ: إنه مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ.

* **الرابعة: فقهاء المرجئة،** وهؤلاء يقولون: الإيمان يكون بالقلب واللسان دون الجوارح، والأعمالُ عندهم ليست داخلةً في مسماه.

وأصلُ خطأِ هؤلاء جميعا قولُهم: إنَّ الإيمانَ شيءٌ واحدٌ، لا يزيدُ ولا ينقصُ. قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «شرح الأصفهانية»: وإنما أوقع هؤلاء كلَّهم - يعني المرجئة بطوائفها - ما أوقعَ الخوارجَ والمعتزلةَ في ظنهم أنَّ الإيمانَ لا يتبعضُ، بل إذا ذهب بعضُه ذهب كلُّه. ومذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ أنه يتبعضُ، وأنه ينقصُ ولا يزولُ جميعُه.